مدينة صور
فـي سجلات العهد القديم

تأليف منير العجي

مقدمة

أولا – معلومات عامة

1- اسم المدينة

2- وصف صور

أ. الموقع

ب. الأسوار والتحصينات

ج. وصف المدينة

3- الواقع الزمني

4- ديانة صور

ثانيا – الشؤون التجارية

1- مدينة تجارية بإمتياز

2- الصناعات والمنتجات

3- واردات صور

4- حالة نموذجيه – هيكل سليمان

ثالثا – الشؤون السياسية والعسكرية

1- نظام الحكم

2- قوة صور

3- تحالفات صور

أ. الحلف مع اسرائيل

ب. أحلاف أخرى

4- الصراع مع إسرائيل :

أ. الهيكل والسيطره الاقتصاديه

ب. الزواج السياسي الأول – إيزابل

ج. الزواج السياسي الثاني – عثليا

5- تدهور العلاقات وموقف الانبياء

خاتمة

مقدمة

تُعتبر التوراة مصدرا تاريخيا هاما للإطلاع على مختلف نواحي الحياة، على امتداد حقبة تاريخية مديدة ومساحة جغرافية كبيرة. لهذا مهما تنوعت – اختلفت او اتفقت – نظرة المؤرخين، الباحثين – مؤمنين بها ككتاب سماوي أم لا – فإنها على الأقل "من اغنى وارفع ما تركه الشرق القديم من مظاهر حضاريه، وظهر المذكِر الذي كانت مهمته الرسميه تدوين الحوادث الهامة وحفظ الحوليات الملكيه"[1].

عرفت التوراة صور[2] في مراحل عديدة وبصُوَر متنوعة ملفتة للنظر، وكمملكة مجاورة لمملكة الشعب العبراني تُعتبر من الممالك التي نالت حظا وفيرا من الحديث عنها في مختلف كتب التوراة. أول مرة ذكرها كاتب توراتي كانت في كتاب يشوع، وظل كُتّابها وبالتالي الشعب الإسرائيلي يعرف صور إلى ما بعد السبي البابلي، بل وفي المرحلة المكابية أيضا. وما ذِكْر العهد الجديد لها إلا تاكيدا على أنها قد استمرت في المنطقة على مر قرون عديدة جدا.

---

[1] تاريخ لبنان وسوريا وفلسطين، فليب حتي. دار الثقافة – بيروت 1982. ج1 - ص 204.

[2] لم نتطرق في البحث لمدينة صيدا، على الرغم من ذكر المدينيتين معا في غير موضع من التوراة مثل: إرميا 22/25 و3/27 و4/47 وحزقيال 8/27 ويوئيل 3/ 4.

أولا

معلومات عامة

1-اسم المدينة

الصيغة العبرية لاسم صور في التوراة צֹר تعني صخرة، مما يشير إلى احتمال وقوعها على تل صخري، أو أنها كانت محاطة بمنطقة صخرية[3].

ذُكرت المدينة في كتب التوراة ما يقارب /42/ مرة ، موزعة على /15/ كتاب وهي[4]: يشوع، صموئيل الثاني، ملوك الاول، أخبار الأيام الأول والثاني، عزرا، نحميا، مزامير، اشعياء، ارميا، حزقيال، هوشع، يوئيل، عاموس، زكريا[5].

2-وصف صور

أ. الموقع

أولى الإشارات إلى موقع المدينة، أتت ببدايات ذكر التوراة للمدينة، عندما ذكرها كتاب يشوع في معرض حديثه على حدود الأرض لكل عشيرة من عشائر بني إسرائيل، أي حوالي 1400 ق م[6].

وهي مدينة ساحلية، بل هي تنتمي للبحر حسب قول الشاعر: "صور الساكنه عند مداخل البحر"[7]، وتمتد حدودها بعيدا في قلب البحار[8]. هذا بالنسبة إلى حدودها البحرية، أما بالنسبة لأطرافها البرية، فليس مِن ذِكْر لمقدار امتدادها بالعمق أو شمالا. بل على العكس، فإن كُتّاب التوراة يخلطون أحيانا بين صور وبعض المدن والمواقع الساحلية، كأن يعتبرها اشعياء جزء من كنعان، والخلط بينها وبين صيدون وسكان الساحل ولبنان [9].

ب. الأسوار والتحصينات

جميع كُتّاب التوراة، على إختلاف أزمنتهم وعلاقتهم بصور، عرفوها مدينة حصينة ومنيعة. اعتبارا من يشوع، أواسط الألف الثاني كما ألمحنا سابقا، إلى زمن داود وسليمان، أوائل الألف الأول، إلى الأنبياء السابقين للسبي،

---

[3] حزقيال 4/26

[4] كل الاقتباسات هي من ترجمة الكتاب المقدس بستاني فاندايك.

[5] يشوع 29/19، صموئيل الثاني 11/5 و7/24، ملوك الاول 1/5 و13/7و14 و11/9و12، اخبار الاول 1/4 و4/22، اخبار الثاني 3/2 و11و14، عزرا 7/3، نحميا 16/13، مزامير 12/45 و7/83 و4/87، اشعياء 23/ 1و5 و8 و15 و17، ارميا 22/25، 3/27، 4/47، حزقيال 2/26-4 و7 و15 و2/27 و3 و8 و32 و2/28 و12 و18/29، هوشع 13/9، يوئيل 3/ 4، عاموس 9/1و10، زكريا 2/9و3.

[6] كل التواريخ الوارده في الدراسه مستقاة من دائرة المعارف الكتابية. دار الثقافة – مصر. ج4 - مادة زمن - ص 254، إلا إذا تمت الاشاره الى خلاف ذلك.

[7] حزقيال 3/27.

[8] حزقيال 4/27.

[9] ملوك الأول 6/5 واشعياء 23/1-5 و12.

كاشعياء منتصف القرن السابع، واللاحقين له، كزكريا أواخر القرن السادس[10]، حتى ليبدو للباحث في أمور صور في التوراة أنها قد تحولت إلى مضرب بالمثل.

تُعرف أسوار المدن وتحصيناتها على حقيقتها حين المواجهة مع العدو، لهذا يمكننا أن ندرك مقدار تحصين صور من خلال وصف ما سيحتاجه نبوخذ نصر لإقتحام المدينة بحسب رأي حزقيال:

"يَبْنِي عَلَيْكِ بُرْجًا،
وَيُقِيمُ عَلَيْكِ مِتْرَسَةً،
وَيَرْفَعُ عَلَيْكِ تُرْسًا،
وَيَجْعَلُ مَجَانِقَ عَلَى أَسْوَارِكِ،
وَيَهْدِمُ أَبْرَاجَكِ بِأَدَوَاتِ حَرْبِهِ"[11]

ج. وصف المدينة

تميزت صور بشهرة واسعة وحضور عالمي مميز، إلى درجة أنها تُتَوِّج الملوك، تُجَّارها أمراء ومتجروها كِرام الارض[12]. هذا على الصعيد الخارجي، أما على صعيد الزائر والمتجول فيها، هي: كاملة الجمال، بانوها أكملوا جمالها، فيها قصور، وبيوتها جميلة فخمة[13].

وبالنسبة لِغِناها، لم يتوانَ أيٍ مِن ذاكري صور في كتب التوراة عن وصف غناها العجيب، إلى حد وصف زكريا لترفها بقولة: "قَدْ بَنَتْ صُورُ حِصْنًا لِنَفْسِهَا، وَكَوَّمَتِ الْفِضَّةَ كَالتُّرَابِ وَالذَّهَبَ كَطِينِ الأَسْوَاقِ"[14]. وفي وصف اكثر تحديدا نجد تعدادا لبعض ما يصادفه عابر طرقاتها أو زائر معابدها، على الشكل التالي:

ألواحها	من سرو سنير (جبل حرمون)
سواريها	أرز لبنان
مجاذيفها	بلوط باشان
مقاعدها	عاج مطعم من كتيم (قبرس)
أشرعتها	كتان ناعم موشى من مصر
غطاؤها	بنفسج وارجوان من اليشة 15

د. لابد للجمال أيضا أن يقترن بالطرب والغناء والموسيقى، هذا أيضا كان موجودا فيها [16].

---

[10] راجع على التسلسل: يشوع 29/19، صموئيل الثاني 7.6/24، اشعياء 14/23، حزقيال 10.9.4/26، زكريا 3/9.
[11] حزقيال 9.8/26.
[12] اشعياء 8/23 و حزقيال 17/26.
[13] حزقيال 3،4/27، عاموس 10/1، حزقيال 12/26.
[14] زكريا 3/9.
[15] حزقيال7-5/27.
[16] حزقيال 13/26.

3–الواقع الزمني

لم تَعْرف، أو على الأقل لم تذكر التوراة وكُتّابها زمن تأسيس صور، ولا زمن سقوطها ودمارها وانتهاء دورها عالميا في حوض المتوسط، أو على صعيد المنطقة، هذا على الرغم من تأكيد اكثر من نبي في التوراة سقوط صور ودمارها وعدم قيامها فيما بعد، أو كما تحلو لنصوص التوارة تصوير هذا النوع من الزمن بالعبارة: إلى الأبد[17]!
هناك ما يقارب الألف سنة، بين أول إشارة لصور وآخر إشارة لها في كتب التوراة، أي بين أحداث كتاب يشوع ونبوة زكريا. والجدير بالملاحظة أن الإشارة الأولى لها والأخيره وما بينهما من عشرات المرات على مدار هذه الالف سنة، كلها تصف صور: مدينة قائمة، حصينة، تُتجار وتتفنن في كل فنون تلك العصور.

4– ديانة صور

لا نجد في نصوص التوراة تفاصيل كثيرة وواضحة عن ديانة صور وعباداتها، سوى ما أتى ذكره في معرض سرد كاتب الملوك في قصة ايزابل وما يحيط بها من أحداث. حيث يمكننا تجميع ما قيل في هذا الصدد على النحو التالي[18]:

- اسم إلههم بعل، ومرة واحدة ورد اسم عشتاروث بشكل مرادف لبعل.
- كان لبعل معبد فيه: مذبح أو مذابح، أنبياء، كهنة، وتد مقدس وانصاب (لا يرد أي تفصيل عنها)، تماثيل (مرة واحدة ذكر وجود عجلي ذهب في بيت ايل).
- كان يُدعى لمحفل مقدس للبعل، كما فعل ياهو. تقدم للبعل ذبائح حيوانية – ثور، يرقصون حول المذابح، يخدشون أنفسهم بالسيوف والرماح، يتنبأون.
- وجد أيام إيزابل 450 نبي لبعل و 400 نبي لعشتروث.

---

[17] راجع حزقيال 9-21.
[18] كل الاقتباسات الموجوده هنا مأخوذه من ملوك الاول 16و17 وملوك الثاني 10و11، بسبب تشابك وتداخل المواضيع لم نثبت الافكار حسب آياتها .

ثانيا
الشؤون التجارية

"عِنْدَ خُرُوجِ بَضَائِعِكِ مِنَ الْبِحَارِ
أَشْبَعْتِ شُعُوبًا كَثِيرِينَ.
بِكَثْرَةِ ثَرْوَتِكِ وَتِجَارَتِكِ
أَغْنَيْتِ مُلُوكَ الأَرْضِ"[19]

1-مدينة تجارية بإمتياز

كسوق تجارية عالمية، استقبلت صور البضائع والقوافل القادمة من مختلف طرق التجارة البرية المعروفة كما سنفصّل في جدول لاحق. إلا أن الشهرة الأهم أتت من بضائع البحر، ومن دورها البحري. الأمر الذي نستنتجه من اوصاف عديدة قِلت فيها، فلقد كانت مدينة قوية في البحر[20]، تعاملت مع شعوب كثيرة، وكانت هي نفسها المركز التجاري لكل تلك الشعوب[21]. كان لتجارتها، وقيادتها العمل التجاري البحري – إن جاز التعبير – تأثير إيجابي مفيد لجميع الشعوب وملوك تلك الشعوب، كما أوردنا الاقتباس من حزقيال 27 /33.
كانت مدينة قوية جدا في التجارة والملاحة حتى قال حزقيال أن لها رعب على جيرانها[22]، مع أن دورها العسكري يُعتبر رمزيا تقريبا كما سنرى. ونقصد بقولنا "رمزي" بأنه لم يُذكر شيئا عن قيامها باحتلالات واجتياحات للممالك والمدن القريبه أو البعيدة، الأمر الذي يلقي ضوءا مهما على مقدرتها الملاحية والتجارية وفنونها في هذا المضمار.

2-الصناعات والمنتجات

عُرفت التوراة صور كمدينة للصناعات والمهن والحرف والابتكارات والمهارات المميزة والفريدة، فمن الحِرف التي تعرف عليها بنو إسرائيل من صناع صور[23]:

- صناعات معدنية (الذهب والفضة والنحاس والحديد)
- صناعات البناء (الحجر والخشب)
- الأقمشة والصباغات (الأرجوان، البرفير البنفسجي، الكتان، القرمز)

---

[19] حزقيال 27/ 33.
[20] حزقيال 17/26.
[21] اشعياء 3/23 و حزقيال 3/27.
[22] حزقيال 17/26.
[23] اخبار الثاني 13/2.

- النقش
- كل اختراع، بمعنى كل ما يمكن ان يخطر ببال انسان

كل هذه الصناعات والمهارات طلبها سليمان من ملك صور لخلو إسرائيل من أية واحدة منها. و نجد تاكيدا لهذا في قول سليمان لملك صور: "لأَنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَنَا أَحَدٌ يَعْرِفُ قَطْعَ الْخَشَبِ مِثْلَ الصِّيْدُونِيِّينَ"، "لأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ عَبِيدَكَ مَاهِرُونَ فِي قَطْعِ خَشَبِ لُبْنَانَ" 24.

لا تخبرنا التوراة تفاصيل عن مهن وحرف أهل صور. فالرجل الذي انتُدب للإشراف على بناء هيكل سليمان، كان يتقن صناعة جميع المعادن المعروفة آنذاك والأقمشة والأصبغة والبناء والنجارة والنقش الأمر الذي يجعلنا نتساءل إن كان هذا الرجل مميزا في حكمته ومعرفته، أم أن هذه المهن جميعها كانت تُعتبر مهنة واحدة يمتهنها حرفي واحد في ذلك الزمن25.

كل هذا لا يمنع صور من إحضار صنّاع أو مَهَرة، للعمل لديها، كما يخبرنا حزقيال في نبوته أن: "أَهْلُ صِيدُونَ وَإِرْوَادَ كَانُوا مَلاَّحِيكِ... شُيُوخُ جُبَيْلَ وَحُكَمَاؤُهَا كَانُوا فِيكِ قَلاَّفُوكِ"26.

طبعا لا تقدم التوراة لنا أية فكرة عن نوع العلاقة التي كانت قائمة بين صور ومدن الساحل الفينيقي، الأمر الذي يجعلنا نذكر هؤلاء المهره تحت خانة عمال وصناع غريبين عن صور.

أما بالنسبة لمنتجات صور، أيضا الخبر عنها قليل نادر، إذ نقرأ عن خشب أرز، خشب سرو وصندل27. هذا على الرغم مِن ذكر حزقيال أنها استقدمت سروا من سنير (حرمون)28.

3- واردات صور

لسنا هنا بصدد الحديث عن واردات صور، بمعنى احتياجها للإستهلاك المحلي، بقدر ما سنعرض لمنتجات ومواد أوليه كانت ترد الى صور على شكل محطة عبور أو سوق تجارية ضخمة تعرض فيه البضائع. بالواقع هذه هي الصورة التي ينقلها لنا كتّاب التوراة المتأخرين، وخاصة حزقيال الذي يفرد ثلاثة فصول في كتابه للحديث عن صور، والتي يصورها كسوق تجارية عالمية، لابد لكل بضاعة تحملها السفن أو القوافل البرية، أن تعبر بل وتعرض فيها. في هذه السوق العالمية تباع وتشترى هذه البضائع المتنوعة، لتعود القوافل والسفن مرة أخرى محملة بأنواع أخرى وربما جديدة، كانت معروضة في صور، وكاننا أمام صورة قديمة لاحدى مدن هذا العصر الكبرى كلندن أو نيويورك او هونغ كونغ.

مَن هم التجار والشعوب الذين تعاملت سيدة التجارة البحرية معهم، وأية بضاعة دخلت أو خرجت منها؟

---

24 ملوك الاول 6/5، اخبار الثاني 7/2، واشارة نص الملوك إلى الصيدونيين، تندرج في سياق خلط كتّاب التوارة بين صور وصيدون، حسبما أشرنا في حديثنا عن موقع المدينه.

25 في الواقع في منطقتنا نحن هي مهن عديدة ومختلفة، لعلها لم تكن كذلك في تلك الأيام.

26 حزقيال 8/27 و9. قلافون: من يعملون على سد صدوع السفن.

27 صموئيل الاول 11/5، أخبار الثاني 7/2.

28 حزقيال 5/27.

يعرض لنا حزقيال في نبوته العائدة الى القرن السادس تقريرا مهما عن حركة التجارة الصورية من حيث نوع البضائع و جنسية التجار حاملي البضائع والمتاجرين معها نعرضه بالجدول التالي[29]:

بلد المنشأ او جنسية المتاجرين	الماده المتاجر بها
سنير (حرمون)	سرو
باشان	بلوط
جزر كتيم (قبرس)	عاج مطعم في الشربين
مصر	كتان ناعم موشى
جزر أليشه	برفير بنفسجي وارجوان
ترشيش	فضة ، حديد ، قصدير ، رصاص
ياوان (بلاد اليونان) ، توبال ، ماشك	عبيد ، آنية نحاس
توجرمه (ارمينيه)	خيل ، جياد ، بغال
رودانيم وجزر كثيره	قرون من العاج و الآبنوس ،
آرام	بهرمان، ارجوان، وشي، كتان ، مرجان ، ياقوت
يهوذا واسرائيل	حنطة منّيت ، دّخن ، عسل ، زيت ، بلسان
دمشق	خمر حلبون ، صوف أبيض
ويدان وياوان (يرجح انها اسماء قبائل عربيه)	حديد مطرّق ، سليخه ، قصب الذريره
ددان	نمارق للركوب
العرب ورؤساء قيدار	حملان ، كباش ، تيوس
شبأ ، رعمه	طيب ، حجارة كريمه ، ذهب
حاران ، كنّه ، عادان ، شبأ، اشور ، كلمد	ثياب فاخره ، ارديه من برفير بنفسجي ، وشي ، بسط ملونه ، حبال مفتوله
اوفير[30]	ذهب ، خشب صندل ، حجاره كريمه

[29] كل التفاصيل الوارده في الجدول ماخوذه من حزقيال 27.

[30] هذا البند الاخير مذكور في ملوك الاول 11/10.

4-حالة نموذجية – هيكل سليمان:

لنا في ما ورد في التوراة بشأن هيكل سليمان صورة واضحه ومميزه للدور الاقتصادي والتجاري الذي كانت تلعبه صور مع جيرانها القريبين والبعيدين، لقد كان العامل الأول في نجاحها في هذا المضمار معرفتها بدقة ما لديها وما تحتاج إليه في المنظورين القريب والبعيد.

وجدوا أنفسهم مدينة – مملكة صغيرة ، مُحاطة بِقوى عديدة، ومجال التوسع الوحيد والأسهل إن جاز التعبير هو البحر، فامتلكوا البحر ومهارات عديدة مميزة – وبعضها فريد، وقايضوها بالصداقة والسلام ومنتوجات الأرض. وهذا بالضبط ما نجده كنموذج لنا في أمر بناء هيكل سليمان.

كانت الإتفاقية تنص على: "... أَرْسِلْ لِي رَجُلاً حَكِيمًا فِي صَنَاعَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ... وَأَرْسِلْ لِي خَشَبَ أَرْزٍ وَسَرْوٍ وَصَنْدَل مِنْ لُبْنَانَ... وَهأَنَذَا أُعْطِي... عِشْرِينَ أَلْفَ كُرّ مِنَ الْحِنْطَةِ طَعَامًا لِعَبِيدِكَ، وَعِشْرِينَ أَلْفَ كُرِّ شَعِيرٍ، وَعِشْرِينَ أَلْفَ بَثِّ خَمْرٍ، وَعِشْرِينَ أَلْفَ بَثِّ زَيْتٍ"31، ثم يعود الكاتب ويكرر النص عن لسان ملك صور كنوع من الموافقة على الإتفاقية حسبما يبدو. وفي نص آخر نلاحظ أن الإتفاقية قد نصت على بنود أخرى:

"وَبَعْدَ نِهَايَةِ عِشْرِينَ سَنَةً بَعْدَمَا بَنَى سُلَيْمَانُ الْبَيْتَيْنِ، بَيْتَ الرَّبِّ وَبَيْتَ الْمَلِكِ... أَعْطَى حِينَئِذٍ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ حِيرَامَ عِشْرِينَ مَدِينَةً فِي أَرْضِ الْجَلِيلِ. فَخَرَجَ حِيرَامُ مِنْ صُورَ لِيَرَى الْمُدُنَ الَّتِي أَعْطَاهُ إِيَّاهَا سُلَيْمَانُ، فَلَمْ تَحْسُنْ فِي عَيْنَيْهِ"32. لا نعتقد أن المقصود بقوله أن سليمان أعطى حيرام المدن أي أعطاه بدون مقابل، خاصة أن الأمر كله لم يكن تبادل هدايا وعطاءات للتعبير عن الكرم، بل كانت إتفاقية كاملة البنود، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فمن غير الواضح تماما إن كانت هذه المدن من أساس الإتفاقية أم أن قلة الموارد عند سليمان لسداد ما عليه في الإتفاقية جعله يطلب تعديل بعض بنودها.

هكذا حققت صور الماهرة في التجارة والصناعة المميزة والفاخرة، وبسبب صناعاتها الخاصة ومنتوجاتها الفريدة، خيرات الأرض على أنواعها وعلى مدى عشرين سنة، من إتفاقية واحدة مع مملكة صغيرة مجاورة، كم سيكون إذا مدخول هذه المملكة من جراء إدهاش حوض المتوسط كله بهذه المهارات؟

---

31 أخبار الثاني 2/7-10، راجع أيضا اخبار الثاني 2/11-16 وملوك الاول 5/10-12.

32 ملوك الاول 9/10-13 ، 6/38 و7/1 وأخبار الثاني 8/1-6.

ثالثا

الشؤون السياسية والعسكرية

1-نظام الحكم

لم تكن صور من هذه الناحية مختلفة عن المدن والتجمعات السكانية المحيطة بها أو المنتشرة في المنطقة ككل، فلقد إعتمدت نظام المدينة – المملكة. فكان يحكمها أيام داود وسليمان الملك حيرام[33]، على الرغم من اختلاط الأمر بعض المرات على قارئ التوراة، فلقد ذكر مرة في معرض هجو اشعياء لها وصب الويلات عليها إن "أَمَرَ الرَّبُّ مِنْ جِهَةِ كَنْعَانَ أَنْ تُخْرَبَ حُصُونُهَا... لاَ تَعُودِينَ تَفْتَخِرِينَ أَيْضًا أَيَّتُهَا الْمُنْهَتِكَةُ، الْعَذْرَاءُ بِنْتُ صِيْدُونَ"[34] إلا أن الالتباس يسهل علينا عندما ننظر إليه من ناحية تركيبة المدن – الممالك في ذلك الوقت، خاصة ممالك الساحل الفينيقي، وما وجد من توأمه بين صور وصيدون.

2-قوة صور

على الرغم من قول حزقيال في نبوته "... الْمَدِينَةُ الشَّهِيرَةُ الَّتِي كَانَتْ قَوِيَّةً فِي الْبَحْرِ هِيَ وَسُكَّانُهَا الَّذِينَ أَوْقَعُوا رُعْبَهُمْ عَلَى جَمِيعِ جِيرَانِهَا؟"[35] فليس من نص واضح في التوراة يشير إلى جيش أو قوة عسكرية لصور على مستوى المنطقة، على الرغم من الاشاره التي نجدها لدى حزقيال أن: "فَارِسُ وَلُودُ وَفُوطُ كَانُوا فِي جَيْشِكِ، رِجَالَ حَرْبِكِ.. هُمْ صَيَّرُوا بَهَاءَكِ"، إلا أن وصف هؤلاء الجنود بأنهم "عَلَّقُوا فِيكِ تُرْسًا وَخُوذَةً"[36]، يوجه نظرنا إلى سلام وطمأنينة كانت تتمتع بها المدينة، فاقتصرت قوتها على سلاحين خفيفين مخيفين هما المعرفة والاقتصاد. ولربما هذا هو السبب الذي جعل الإسرائيليين يتزايد كرههم وحقدهم على الصوريين، فعلى الرغم من أن "المملكه التي اسسها – أي داود – أقوى دولة محلية ظهرت في فلسطين في أي عصر"[37]، إلا أنهم لم يتمكنوا من الحصول على فنون – أسلحة – أهل صور . حيث ستبقى صور بالنسبة لهم ذات قوة حضور وتأثير على من حولها، قريبين كانوا أم بعيدين، فليس مصر وحدها ستتأثر إذا تضررت صور، حسبما يتنبأ اشعياء، بل كل الشعوب والتجار والملوك كما يؤكد حزقيال واصفا الأضرار الإقتصاديه وبالتالي الشعبية التي ستنتج عن دمار وهلاك صور [38].

طبعا لن ننسى ما أوردناه في بند وصف المدينة، كيف عُرفت بالمشاركة بتتويج الملوك، فهو قول ذو مدلول مهم، إن قيل على سبيل التشريف والتكريم لسيدة التجارة البحرية، أو على سبيل مهابة الشعوب من صور فعلا.

---

[33] صموئيل الثاني 11/5.
[34] اشعياء 11/23و12، ملوك الاول 31/16.
[35] حزقيال17/26.
[36] حزقيال10/27.
[37] تاريخ لبنان وسوريا وفلسطين، فليب حتي. دار الثقافة – بيروت 1982. ج1 – ص203.
[38] اشعياء 5/23، حزقيال 15/26-18 و 28/27-32.

على كل حال لماذا لا تهاب الشعوب هذه المدينة، وهي التي لم تختر لنفسها الامتداد والتوسع برا ، وهو الأسهل ، بل اختارت الأبعد والأصعب، البحر الواسع والبلاد الكثيرة المزروعة على شواطىء هذا البحر، حتى لكأن قبرس بالنسبة لأهل صور طريق سهل العبور أو خط رجعة في الظروف الصعبة والخطرة[39].

3-تحالفات صور

أ. الحلف مع إسرائيل

عرفت صور مرحله من العلاقه المميزه والمثمره جدا مع المملكه الجديده حسبما تخبرنا نصوص التوراة أيام ملكيها الثاني والثالث ، داود وابنه سليمان .

"... وَكَانَ صُلْحٌ بَيْنَ حِيرَامَ وَسُلَيْمَانَ، وَقَطَعَا كِلاَهُمَا عَهْدًا"[40]، وقد تطور هذا الصلح والعلاقة خاصة في أيام سليمان إلى علاقة تجارية قوية، أدخلت فيها صور جارتها، المملكة الفتية عالم البحر والتجارة "وَأَرْسَلَ لَهُ حُورَامُ بِيَدِ عَبِيدِهِ سُفُنًا وَعَبِيدًا يَعْرِفُونَ الْبَحْرَ... أَخَذُوا مِنْ هُنَاكَ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ وَزْنَةَ ذَهَبٍ..."[41]، وعلى الرغم أنه في نص آخر[42] يقول أن سليمان عمل سفنا في عصيون جابر، فان هذا لا يناقض النص السابق، إذ من أين سياتي سليمان بتقنية صناعة السفن وركوب البحر وقد كانت هذه المرة الاولى في تاريخ بلاده يختارون البحر طريقا بدلا من البر؟ ولا نقرأ عن رحلات إسرائيليه منفرده أو خاصه في البحر، بل بقي هذا التلميذ بحاجة إلى رفقة معلمه لدخول ذلك المجهول. أما تفاصيل هذه الرحلات المشتركه فهي باختصار: "... فَأَرْسَلَ حِيرَامُ فِي السُّفُنِ عَبِيدَهُ النَّوَاتِيَّ الْعَارِفِينَ بِالْبَحْرِ مَعَ عَبِيدِ سُلَيْمَانَ" و "لأَنَّهُ كَانَ لِلْمَلِكِ فِي الْبَحْرِ سُفُنُ تَرْشِيشَ مَعَ سُفُنِ حِيرَامَ. فَكَانَتْ سُفُنُ تَرْشِيشَ تَأْتِي مَرَّةً فِي كُلِّ ثَلاَثِ سَنَوَاتٍ. أَتَتْ سُفُنُ تَرْشِيشَ حَامِلَةً ذَهَبًا وَفِضَّةً وَعَاجًا وَقُرُودًا وَطَوَاوِيسَ"[43]. يتضح من هذه النصوص أن دخول إسرائيل البحر بقي مقصورا على مرافقة بحارة صور لاستقدام بعض المواد والصناعات الغريبة عنهم، ولم يصلوا إلى مرحلة صور، من إنشاء مستعمرات وتأسيس مدن، أو السيطرة عسكريا أو اقتصاديا عن طريق البحر.

ب. أحلاف أخرى

لا نجد في كتب التوراة التاريخية شيئا عن أحلاف صورية مع بلاد أخرى، سوى ما ذكرنا عن حيرام وداود ثم سليمان. لكن عدد من كتب الأنبياء ألمَحَت إلى أحلاف صور مع بعض أعداء الإسرائيليين، دون أن تعطينا تفاصيل واضحة وأكيدة عن الأمر، كذكر حزقيال وقوفها ضد أورشليم، وذكر عاموس تعاطفها مع أدوم ضد إسرائيل[44]. الأمر الذي سنعود إليه في فقرة لاحقة.

---

[39] اشعياء 23/ 7و12.
[40] ملوك الاول 26/5.
[41] اخبار الثاني 18/8.
[42] ملوك الاول 26/9-28.
[43] ملوك الاول 26/9-28 و 22/10.
[44] حزقيال 2/26 ، عاموس 9/1.

4- الصراع مع إسرائيل

كان لابد لهذه المملكة الصغيرة ، الفقيرة ببعض الموارد، والمحتاجة أبدا إلى أسواق لتصريف بضائعها وشراء احتياجاتها منها، أن تبتكر الوسائل لتحقيق ذلك وتثابر عليه ليكتب لها الإستمرار في مسيرة التاريخ الصعبة. وهذا ما نجد له نموذجين في التوراة يعطياننا صورة عن سياسة وتكتيك صور – المملكة.

أ. **الهيكل والسيطرة الاقتصادية:**

إن تعهد صور بناء هيكل ضخم لسليمان، الذي تحدثنا عنه في فقرة الحالة النموذجية ليعبد به إلهه، أمر قد ساعدها على الوصول إلى أمور عديده:

كادخال بعض صُوَر وأشكال عبادتها إلى عمق العبادة الإسرائيلية45.

وفتح سوق رائجه لتسويق بضائعها، المحلية أو المستوردة، تؤمن منها في الوقت عينه إحتياجاتها الغذائية الضرورية، كالحنطة، الشعير، الخمر، الزيت، ولمدة زمنية طويلة.

الامتداد إلى بقع جغرافية قريبة وتعتبر امتدادا لأراضيها.

صحيح أن الأمر مبني على البيع والشراء، أي المقايضة في مفهوم تلك الأيام، إلا أن هذه المقايضة غير متعادلة بالنظر إلى مواد المقايضة، قياسا إلى الاحتياج والفائدة العامة المرجوة منها. فسليمان يشتري معادن ثمينة وأخشاب غالية لبناء هيكل عظيم يعبد فيه إلهه، يدفع ثمنه من طعام ومدخول شعبه الذي لم يستفد من المشتريات سوى أن يمتع ناظريه بهذا القصر العجيب! أما صور فقد استفادت مرتين: من المبيعات بتصريف بضائعها، ومن الثمن باطعام شعبها.

كما يمكن ملاحظة واقع تقدم وتطور صور على إسرائيل بشدة، وبالتالي ارتباط إسرائيل بها. ففي الوقت الذي أكمل بناؤوا صور جمالها46، ولم ينقصها شيء، فإن إسرائيل استقدمت من صور بسبب الحاجه:

- المواد الأولية.
- الفنيون والمهرة.
- التقنية.

---

45 من غير الواضح تماما حقيقة فكرة بناء سليمان هيكلا للرب بديلا عن خيمة الاجتماع التي أعطى يهوه تفاصيلها لموسى وقدسها الشعب من يوم إنشائها. هل تقليدا لهياكل العبادة في البلاد المجاورة كصور مثلا؟ أم رغبة بتوسيع الخيمة التي لم تعد تتسع بسبب تكاثر الشعب وحجم المتطلبات الدينية للمملكة المزدهرة؟ في كلا الحالتين هناك ابتعاد عن حرفية ما اعطي لموسى وتعديل فيه، وهذا في الحقيقه ما نراه في كثير من الإضافات في هيكل سليمان قياسا بخيمة موسى، منها: النخيل، السلاسل، العمودان الأماميان وتاجيهما، الثيران حول بركة الماء، برك الماء الإضافية والمنائر الذهبية ... وغيرها الكثير، تثير كلها السؤال: من أين أتى سليمان بفكرتها ونماذجها (أخبار الثاني 3و4).

46 حزقيال4/27

ب. الزواج السياسي الأول – إيزابل

بموت سليمان، انتهى عهد مملكة اسرائيل الواحدة، إذ إنقسمت إلى إثنتين واحدة في الشمال وأخرى في الجنوب. وبظهور عوامل عدة: كصغر مساحة المملكه – التي كانت أساسا صغيرة – بعد ان أصبحت اثنتين، إحتكار مملكة الجنوب العبادة في الهيكل الأساسي مع الكهنة المخصصين له، وغيرها من العوامل جعلت الشماليين بلا هيكل ولا كهنة الأمر الذي أمالهم قليلا قليلا إلى عبادة إله غير يهوه، وبالأخص جيرانهم أصحاب الدين القديم المعروف في المنطقة كلها.

وهكذا بعد انقطاع ذكر صور وعلاقتها مع المملكة الصديقة، من موت سليمان وإقتطاع يربعام الأول الجزء الشمالي، مملكة لنفسه سنة 933، إلى وصول أخاب بن عمري للسلطة في المملكة الشمالية سنة 875. حيث نقرأ عن عودة العلاقات بين صور وإسرائيل، أي المملكة الشمالية، وبطريقة أكثر فعالية من زمن سليمان. وذلك بزواج إيزابل (إيزبعل) ابنة أتبعل (ايثوبعل) من آخاب بن عمري ملك إسرائيل[47]. إن قراءة الفصول 16–22 من كتاب الملوك الأول، تزودنا بفكرة واضحة عن ابنة صور الأمينة لبلادها وخاصة لديانتها، فلقد فاقت غيرتها لآلهتها غيرة إيليا النبي، الذي يعتبر مضرب مثل في التوراة بغيرته وأمانته لعبادته. لقد استطاعت أن تنفذ بسلطانها إلى كل شؤون المملكة، إلى الدرجة التي وضعت الملك جانبا لتحكم بإرادة وشخصية حديديتين[48].

إثر موت آخاب زوج إيزابل في معركته مع مملكة إسرائيل الجنوبية ضد آرام، خلفه ابنه أخزيا /853–852 [49]، الذي يمثل إمتدادا واضحا لطريقة ابنة صور في سياسة الحكم "... وَسَارَ فِي طَرِيقِ أَبِيهِ وَطَرِيقِ أُمِّهِ ..."[50]، على الرغم أن هذه العباره قصد بها الكاتب التعبير عن انجراف أخزيا وراء العبادة الوثنية، إلا أنها في الوقت عينه ترينا أن إيزابل وإن ماتت فإنها تركت مَن يُكمل دربها. لكن الحماس خف إثر تسلم يورام بن آخاب المملكة /852–841/ إذ لم يكن لأخزيا وريث [51].

ج. الزواج السياسي الثاني –عثليا

لا نجد في التوراة تفسير أو وجهة نظر مملكة صور أو إيزابل عن مخططها لمملكة إسرائيل، لأن الكاتب يؤرخ لملوك إسرائيل وبالتالي يعرض وجهة نظره هو، وتفسيره الشخصي للأحداث. لكننا مع هذا نستطيع أن نستتشف من العرض الذي يقدمه كاتب التوراة وجود مخطط وضعته إيزابل – ولربما هو مخطط صوري أُعْطِيَ لإيزابل للتغلغل في مملكة إسرائيل الموحدة، ثم المنقسمة في وقت لاحق. ولقد نجحت في الأمر لفترة لا بأس بها في مملكة الشمال، ولم تفشل في مملكة الجنوب إذ سارعت بتزويج ابنتها عثليا ليورام بن يوشافاط، الذي ملك مكان

---

[47] ملوك الاول 16/29-32.
[48] يمكن مراجعة قصتها مع نابوت اليزرعيلي على سبيل المثال، حيث يخبرنا كتاب الملوك كيف حلت ما لم يستطع الملك حله، ووصلت إلى أكثر مما كان يبغي أخاب المسكين. الملوك الاول 21.
[49] ملوك الأول 22/37.
[50] ملوك الأول 22/52.
[51] يمكن مراجعة قصة أخزيا مع المملكة وموته وتسنم أخوه السلطة في ملوك الثاني الفصول 1-3.

ابيه ثماني سنين /848–841/ ، وورّث العرش لابنه مِن عثليا سنة 841، كلاهما أي يورام وابنه أخزيا لم يبتعدا عن خط إيزابل حسبما يؤكد الكاتب[52].

إنتفاضة ياهو وانتهاء ايزابل:

لقد بدأت بذور المعارضة بشكل رئيسي مع إيليا النبي، و سلّمها بعد موته لأليشع، الذي لم يتوانَ عن متابعة الأمر حتى تهيأ له ياهو، الجندي القوي والمتحمس، فقاد عصيان بإيحاء من أليشع تحقق له فيه قتل الثلاثة معا: أخزيا ملك الجنوب (صهر إيزابل)، يهورام ملك الشمال (ابن إيزابل) وإيزابل نفسها. صحيح أنها لم تمت ميتة ملوك في ساحة حرب، لكنها لم تخف الموت أو مقابلة ذلك القائد المتمرد. كأنها عرفت أنه آت إليها، فتزينت كملكة ولبست لباس الملوك، ولم تتردد في وصفه بالخائن بسبب ما فعل بسيده: "فَجَاءَ يَاهُو إِلَى يَزْرَعِيلَ. وَلَمَّا سَمِعَتْ إِيزَابَلُ كَحَّلَتْ بِالأُثْمُدِ عَيْنَيْهَا، وَزَيَّنَتْ رَأْسَهَا وَتَطَلَّعَتْ مِنْ كَوَّةٍ. وَعِنْدَ دُخُولِ يَاهُو الْبَابَ قَالَتْ: أَسَلاَمٌ لِزِمْرِي قَاتِلِ سَيِّدِهِ؟ ... فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ مِنَ الْخِصْيَانِ، فَقَالَ: اطْرَحُوهَا. فَطَرَحُوهَا، فَسَالَ مِنْ دَمِهَا عَلَى الْحَائِطِ وَعَلَى الْخَيْلِ فَدَاسَهَا"[53].

انتقام عتليا ونهايتها:

وصلت أخبار مجازر ياهو بحق المملكتين والنسل الملوكي، والتي مست عتليا بالصميم، أخزيا ابنها، إيزابل أمها ويهورام أخوها! فردت بعمل إنتقامي شديد، بإبادة النسل الملوكي المتعلق بزوجها وعائلته – أي الإسرائيليين، ونصَّبت نفسها ملكة. دام ملكها ست سنين 841–835. لكن النزعة الدينية التي حركت إيليا وأليشع للتحريض على ثورة ضد إيزابل وعبادة البعل، حرَّكت رئيس الكهنة في مملكة الجنوب لإخفاء يوآش – واحد من أولاد أخزيا ، ومن ثم إظهاره بعد ست سنين وإعلانه الملك الشرعي، وإقاع الموت بعتليا[54]، آخر ما تبقى من إيزابل، أو مخططات إيزابل للتغلغل والسيطرة في مملكة إسرائيل لصالح صور.

وهكذا طويت بالنسبة للمعلومات التي تزودنا بها التوراة صفحة سيطرة صور غير المباشرة على إسرائيل وتنقلنا مباشرة إلى مرحلة العداء المباشر والعنيف مِن قِبَل أنبياء إسرائيل، الأمر الذي نصل إليه الآن.

---

[52] ملوك الثاني 16/8-29.
[53] ملوك الثاني 30/9-33.
[54] ملوك الثاني 11.

5-تدهور العلاقات وموقف الأنبياء

"لأَنَّهُمْ سَلَّمُوا سَبْيًا كَامِلاً إِلَى أَدُومَ
وَلَمْ يَذْكُرُوا عَهْدَ الإِخْوَةِ
فَأُرْسِلُ نَارًا عَلَى سُورِ صُورَ
فَتَأْكُلُ قُصُورَهَا" عاموس 9/1 و10

هاجم صور كلٌ مِن اشعياء أواسط القرن الثامن، وإرميا أواسط القرن السابع، وحزقيال القرن السادس، عاموس في الربع الثاني من القرن الثامن و زكريا أواخر القرن السادس!

ماذا حدث حتى انقلب أنبياء إسرائيل على الجارة القديمة، وصديق الأجداد؟ هل الأمر مجرد نكران بني إسرائيل الجميل وعدم حفظ المودة والصداقة – الأمر الذي لم يتوانوا عن فعله مع إلههم – أم في الأمر أسبابا أخرى؟

أحد الأسباب التي يذكرها حزقيال[55] كسبب أساسي، ويبدو الوحيد من خلال قراءتنا للتوراة، وقوف صور في حلف مضاد لأورشليم، ويذكر هذا بعد إحدى عشرة سنة من تاريخ العودة من السبي، أي ما يقارب 587 ق م. ليس من دليل في السرد التاريخي التوراتي على وقوف صور إلى جانب أو ضد أورشليم في السنوات المرتبطة بالسبي وما بعده. وعلى كل حال يمكن الوقوف عند الملاحظات التالية بشان موقف حزقيال، وغيره من الأنبياء، ورأيه بهذا الصدد:

- إذا كان المقصود شماتة صور بأورشليم، فإن هذا يلمح بشكل خفي أن صور لم يصبها ما أصاب جارتها، وهذا يشير إلى موقع مميز لها عند المملكة الفتية المسيطرة على المنطقة.
- ليس من المستغرب أن لا تتحالف صور مع أورشليم ضد الممالك الكبيرة والقوية أو الفتية التي تبسط سلطانها على المنطقة حديثا. فموقعها الجغرافي والتجاري – الاقتصادي التاريخي، يجعلها تنتهج مواقفا أكثر حكمة من هذا النحو لتبقي لنفسها الموقع المميز كمنطقة تجارية مستقلة.
- على المدى الإستراتيجي، لم تشكل مملكة إسرائيل قوة أو حاجزا عسكريا مهما يمتد على مساحات ذات اعتبار، سوى فترة وجيزة لا يركن لها، بل حتى في فترة إزدهارها العسكري، أيام داود، لم تخل هذه الفترة من إضطرابات داخلية مهمة 56، حيث لم تلبث المملكة أن انقسمت بل وتصارع قسميها أكثر من مرة. الأمر الذي لا يدعو للإطمئنان أو الركون إلى حلف طويل مستمر معها، أمام صعود ممالك مهمة وقوية في المنطقة.
- في مراحل الضعف والتفتت، أو إزدياد المشاكل الداخلية للشعوب والدول، غالبا ما يبحث الشعب أو القادة عن عدو تلقى عليه تبعية الأزمات، وهذا ما حدث مع الشعب الإسرائيلي الذي كانت تمزقه الإنقسامات والصراعات الداخلية، وتنهشه هجمات الممالك القريبة والبعيدة الطامحة والمندفعة. خاصة وأن صور قد

---

[55] حزقيال 2/26 وعاموس 9/1.
[56] كالحرب التي دارت بين يهوذا وإسرائيل في بداية حكمه، صموئيل الثاني 12/2، وتمرد ابنه ابشالوم /13/ وتمرد شابع بن بكري /20/ ... الخ.

رسخت لدى الإسرائيليين عقدة، يمكن أن نسميها عقدة التفوق، نتجت عن عدم تمكنهم من إمتلاك أسرار نجاح وتفوق أهل صور، ليس على الساحل الفينيقي وحسب بل إلى "نهاية البحر".

- بالنظر إلى الدور الديني والنبوي لأولئك الانبياء، فإن حملاتهم المتكررة والمستمرة على صور وعبادتها منذ إيليا، أواسط القرن التاسع، تشير إلى خطر حقيقي على ديانتهم وعبادتهم. بالواقع منذ تأسست المملكة وحتى إنهيارها ، عرفت عبادة البعل والوثن، كل ما هو غير يهوه، بقدر وربما أكثر مما عرفت عبادة يهوه وخاصة المملكة الشمالية. لقد كان تغلغل ديانات البلاد المجاورة، وبالأخص صور، يشكل خطرا حقيقيا ألهب قلوب أولئك الأنبياء المتحمسين والمؤتمنين على أسرار عبادتهم.

خاتمــة

نستطيع أن نخلص إلى القول، لقد كانت صور في نظر أصدقائها وحلفائها، عصر داود وسليمان، وفي نظر أعدائها، كل الأنبياء الذين ذكروها، مدينة ساحلية، حصينة، مركز تجاري مهم، رائدة في عالم البحار، رائدة في عالم الصناعات والإختراعات... دائما موجوده.

حتى أننا نتجرأ على القول أن: لقد كان الصيت لإسرائيل والفعل لصور! فالقليل الذي قالته التوراة عن صور قياسا بحجم وعدد كتبها، يجعلنا نصدق قول حزقيال، مؤمنين كنا بوحي نبوته أم لا:

أَنَا كَامِلَةُ الْجَمَالِ

تُخُومُكِ فِي قَلْبِ الْبُحُور

بَنَّاؤُوكِ تَمَّمُوا جَمَالَكِ!